الطب الروحاني

للعلامة الحافظ جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

المتوفى ببغداد سنة ٥٩٧ هـ

في فضل العقل · في ذم الهوى · في الفرق بين مايرى العقل وما يرى الهوى · في دفع البخل · في النهي عن التبذير والحض على الاقتصاد · في بيان مقدار الاكتساب والانفاق · في ذم الكذب · في دفع الكسل والحض على الجد والعمل · في رياضة النفس · في رياضة الاولاد · في معاشرة الناس ومداراتهم · في ذكر السيرة الكاملة · في ·· في ··

عن نسخة الخزانة الظاهرية بدمشق

عنيت بنشره

مكتبة القدسي والبديري

دمشق: صندوق البريد ٢٠٧

مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٤٨ هـ

الطب الروحاني

للعلامة الحافظ جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

المتوفى ببغداد سنة ٥٩٧ ﻫ

في فضل العقل · في ذم الهوى · في الفرق بين مايرى العقل وما يرى الهوى · في دفع البخل · في النهي عن التبذير والحض على الاقتصاد · في بيان مقدار الاكتساب والانفاق · في ذم الكذب · في دفع الكسل والحض على الجد والعمل · في رياضة النفس · في رياضة الاولاد · في معاشرة الناس ومداراتهم · في ذكر السيرة الكاملة · في ·· في ··

عن نسخة الخزانة الظاهرية بدمشق

عنيت بنشره



مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٤٨ ﻫ

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

مختصرة من ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب

هو جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حُمادَيَ بن احمد بن محمد بن جعفر الجوزي القرشي التيمي البكري . كان علامة عصره وامام وقته في التفسير والوعظ والحديث ذا اطلاع واسع في كل فن حتى لا تكاد تجد علماً الا وله فيه تأليف وله في الوعظ وفنونه مالم يصنف مثله . قال الحافظ ابن الدبيثي في ذيله على تاريخ ابن السمعاني (... وله في الوعظ العبارة الرائقة والاشارات الفائقة والمعاني الدقيقة والاستعارة الرشيقة وكان من أحسن الناس كلاماً وأتمهم نظاماً وأعذبهم لساناً وأجودهم بياناً وبورك له في عمره وعلمه فروى الكثير وسمع الناس منه اكثر من اربعين سنة ...) وكان متعبداً زاهداً ورعاً شديداً على اهل البدع يدمغهم بالحجج القاطعة كلما سنحت له الفرص فقيل له مرة قلل من ذكر أهل البدع مخافة الفتن فأنشد :

أتوب اليك يارحمن مما جنيت فقد تعاظمت الذنوب

وأما من هوى ليلى وتركي زيارتها فاني لا أتوب

ولد رحمه الله في بغداد بدرب حبيب سنة ثمان أو عشر وخمسمائة . وسمع من ابي الفضل ناصر وهو ابن خمس سنين فاعتني به وأسمعه الحديث . وحفظ القرآن وقرأ بالروايات على ائمة القرآن . وسمع من اكثر من مائة شيخ من أعلام وقته فنال رضى الجميع وأجازوه في جميع الفنون . ومن كلامه في شيوخه (فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم وأوثر من ارباب النقل أفهمهم فكانت همتي تجويد العُدد لا تكثير العدد) . وهو احد المكثرين من التأليف حتى ان مصنفاته زادت على الالف وقال عنه الحافظ الذهبي (ما علمت احداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل) وهو الذي قيل فيه (لو قسمت تآليفه على ايام عمره لخص كل يوم تسع كراريس) وأخذ عنه خلق كثير وانتفع بعلمه من لا يحصون . ولم يزل دائباً على الوعظ والارشاد والتأليف حتى قبضه الله اليه ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة . ودفن بباب حرب قرب قبر الامام احمد بن حنبل رحمهما الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قدر الداء ودبر الدواء وكم وهب لمن أشفى [١] على شفا [٢] هلكة الشفاء أحمده على كل ماصدر عن قضائه وجاء وأعلق بفضله ومنه الرجاء وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له نوّر الفضاء فضاء وأشهد ان محمداً عبده ورسوله أشرف من وطئ الارض والسماء وعلى أصحابه وأزواجه صلاة تعم الاتباع والاولياء وسلم تسليماً كثيراً . لما جمعت كتاباً في طب الابدان وسميته [لقط المنافع] آثرت ان أشفعه بكتاب في طب النفوس اسميه الطب الروحاني فان طب الابدان اصلاح الصور وطب النفوس اصلاح المعاني وهي أشرف والى الله سبحانه الرغبة في النفع العاجل والأجر الآجل انه جدير بتبليغ الآمال من منه .

❋ مقدمة قبل الكتاب ❋ اعلم ان جميع ماوضع في الآدمي انما وضع لمصلحته اما لاجتلاب نفع كشهوة المطعم او لدفع ضر كالغضب فاذا زادت شهوة المطعم صارت شرهاً فآذت واذا زاد الغضب أخرج الى الفساد . وهذا الكتاب موضوع لاستعمال قانون الصواب من خلال الباطن وكف كف الهوى عن المؤذي منها وعلاج ماخرج لموافقة الشهوة عن القانون الصحيح . وقد قسمته ثلاثين باباً :

---

[١] أشفى على الشيء أشرف عليه . [٢] شفا كل شيء حرفه .

﴿ ترجمة الأبواب ﴾

* * *

﴿ الباب الاول في فضل العقل ﴾

قد اختلف الناس في ماهية العقل ومسكنه وأطالوا [١] وقد رويت في فضله احاديث كثيرة وقد ذكرنا جملة من ذلك في كتابنا المسمى بذم الهوى فلا نعيدها بل نذكر ههنا جملة فنقول انما يعرف فضل الشيء بثمرته ومن ثمرات العقل معرفة الخالق سبحانه فانه استدل عليه حتى عرفه وعلى صدق الانبياء حتى علمه وحث على طاعة الله وطاعة رسله ودبر في نيل كل صعب حتى ذلل البهائم وعلمه صناعة السفن التي بها يتوصل الى ماحال بيننا وبينه البحر واحتال على طير الماء [٢] حتى صيدت وعينه ابداً تراقب العواقب وتعمل بمقتضى السلامة فيها والعوز [٣] ويترك العاجل للآجل وبه فضل الآدمي على جميع الحيوان الذي فقده وبه تأهل الآدمي لخطاب الله سبحانه وتكليفه وبه يبلغ الانسان غاية مافي جوهر مثله ان يبلغه من خير الدنيا والآخرة من العلم والعمل . وكفى بهذه الاشياء فضيلة لا ببعضها . فليكتف بهذه الجملة عن الاطالة .

﴿ الباب الثاني في ذم الهوى ﴾

الهوى ميل الطبع الى مايلائمه . فلا يذم هذا المقدار اذا كان المطلوب

---

[١] قال الاستاذ فريد بك وجدي في دائرة معارفه : العقل هو القوة الادراكية في الانسان وهو مظهر من مظاهر الروح محله المخ كما ان البصر خاصة من خصائص الروح آلته الباصرة . [٢] طير الماء : يطلق على كل مايألف الماء من اجناس الطير . [٣] العوز : الحاجة .

مباحاً وانما يذم الافراط فيه فمن أطلق ذم الهوى فلأن الغالب فيه
مالا يحل او يتأول المباح بافراطه . واعلم ان النفس منها جزء عقلي
فضيلته الحكمة ورذيلته الجهل - وجزء غضبي فضيلته الحدة ورذيلته
الجبن . وجزء شهواني فضيلته العفة ورذيلته اطلاق الهوى فالصبر
عن الرذائل فضيلة للنفس بها يحتمل الانسان الخير والشر فمن قل
صبره فحكم هواه على عقله فقد صير المتبوع تابعاً والمأموم اماماً فلا
جرم ان جميع مايرومه ينعكس عليه فانه يتأذى من حيث قدر النفع
ويحزن من حيث اراد الفرح . وانما فضل الآدمي على الحيوان البهيمي
بالعقل الذي امر بكف الهوى فاذا لم يقبل قوله وحكم الهوى كان
الحيوان البهيمي أعـذر من الآدمي ويدل على فضل خلاف الهوى
تقديم كلب الصيد واكرامه على ابناء جنسه وذلك لمكان مخالفته
للهوى من حبس ماصاده على صاحبـه دون اكله خوفاً من عقوبته او
شكراً لنعمته . واعلم ان الهوى في ضرب المثل كالماء الجاري الحديد
الجرية ينحـدر بسفينة الطبع . والعقل مراد فان عقل المراد وتوانى مر
الماء بالسفينة . وينبغي للعاقل ان يعلم ان مقاساة الشدة في خلاف الهوى
أسهل مما يلقى في موافقته . وأقل مايلقى موافقو الهوى انهم يصيرون الى
حالة لايلتذون به فيها ثم لايصبرون عنـه لانه يصير بالادمان عادة .
كمدمني الجماع وشراب الخمر . والتفكر في هذه الاشياء تهون على الانسان
رفض الهوى . ومما يهون الهوى ان يتفكر الانسان في نفسه فيعلم انه

لم يخلق لموافقة الهوى فان الجمل يأكل اكثر منه والعصفور يسافد[١] أكثر والبهائم مطلقة في محبوباتها من غير حصر ولا يشوبهم غم[٢] فلما نقص حظ الآدمي من الشهوات ثم شيبت[٣] بالنقص علم انه لم يخلق لذلك . وقد بينت لك أن المذموم من الهوى ما أفرط وهو الذي يحكم عليه العقل بالخطأ فأما ما تهواه مما تضطر الى تناوله ويعينها على اصلاح حالها فممدوح لامذموم .

الباب الثالث في الفرق بين ما يرى العقل وما يرى الهوى

اعلم ان الهوى يدعو الى اللذة من غير فكر في عاقبته وقد يعلم ان تلك اللذة تجلب ألمًا يربو عليها وتمنع صاحبها نيل امثالها والهوى معرض عن النظر في ذلك وتلك حالة البهائم الا ان البهائم اعذر لأنها لا ترى العاقبة ولا ينبغي للعاقل ان ينزل عن رتبة بها شرف وارتفع الى مقام من حط فأما العقل فانه يراقب العواقب وينظر في المصالح فمثله كمثل الرجل الحازم والطبيب الناصح ومثل الهوى كمثل الصبي الجاهل والمريض الشره[٤] فينبغي للبيب اذا اختلف عقله وهواه وقد علم ان العقل عالم ناصح ان يستشيره ان يصبر على مضض[٥] مايأمر به ويكفيه في ايثار العقل علم بفضله . فان رام زيادة دليل على صحة قوله فليتأمل عواقب ما يجنيه الهوى على أربابه من هتاك الاستار والفضيحة بين

---

[١] السفاد : نزو الذكر على الانثى . [٢] في الاصل(ولا شوب لهم وعم) .
[٣] شيب : خلط . [٤] الشره : الشديد الحرص . [٥] المضض : التألم .

الخلق وحط المنزلة وفوت الفضائل وهل وكس [١] جاه او ذل عزيز أو صيد طائر الا بموافقة الهوى ومما يوضح له الدليل ان يقدر بلوغ غرضه قبل نيله ثم ينظر في حاله بعد انقضاء لذته وما اكتسبه ويزن الالتذاذ بالجناية فيعلم حينئذ انه قد خسر اضعاف ما ربح وقد انشدوا في ذلك

كم لذة مستفزة فرحاً قد انجلت عن غموم آفات
كم شهوات سلبن صاحبها ثوب الديانات والمروآت

واعلم ان الانسان اذا وافق هواه وان لم يضره وجد من نفسه ذلاً لمكان انه مغلوب واذا قهر هواه وجد في نفسه عزاً لاجل انه غالب ثم انت ترى الناس اذا شاهدوا زاهداً تعجبوا منه وقبلوا يده وما ذاك الا لانه قوي على ترك ما ضعفوا عنه من مخالفة الهوى ·

﴿ الباب الرابع في دفع العشق عن النفس ﴾

هذا مرض قد تلف به خلق كثير تارة في ابدانهم وتارة في اديانهم وتارة فيهما ولأجله وضعت كتاب ذم الهوى وقد ذكرت هناك من الادوية ما يكفي ويشفي الا اني اذكر ههنا جملة لئلا يخلو الكتاب مما قد رسم فيه فأقول من احتمى عن التخليط بغض البصر وكف النظر سلم من هذا المرض فاذالم يحتم حصل عنده من المرض

---

[١] وكس : نقص

بمقدار تخليطه فان تدارك الامر قبل استحكامه فربما نفع الدواء وان
تركه الى ان يستحكم لم ينفعه علاج واعلم ان مجرد النظر الى المستحسن
لا يكاد يوجب العشق وانما يزداد النظر بحصله ويعينه قوة الطمع
فيساعده الشباب والشهوة فمن اراد العلاج فليبادر به قبل ان يستحكم
المرض وذلك بقطع السبب والصبر في ذلك على المضض فان اليأس
اعظم دواء وأقوى معين على ذلك خوف الله تعالى وزجر النفس الابية
عن مواقف الذل وتذكر عيوب المحبوب الباطنة كما قال ابن مسعود
اذا أعجبت احدكم امرأة فليذكر مثالبها [١] ومتى كان المحبوب مقدوراً
عليـه مباحاً كان الجمع بينهما اعظم الدواء والا فالنكاح في الجملة يخفف
المرض واستجـداد [٢] الزوجات واستحداث الجواري وطول السفر
والتفكر في خيـانة المحبوب وتجنيه [٣] والنظر في كتب الزهد وذكر
الموت وعيادة المرضى وزيارة القبور. ثم يتفكر في وجود غرضه وانقضائه
وسآمته مع الزمان وتغير الخلق وليتصفح العبر في نفسه وغيره فلعل غيره
يأخذ بيده فينتاشه [٤] من هذه الهوة ويجتذبه من هذه الورطة كما روينا
ان رجلاً كان يهوى غلاماً فنظر يوماً في المرآة فرأى طاقة [٥] شيب
فهجر الغلام فكتب الغلام اليه

مالي جفيت وكنت لا أجفى   ودلائل الهجران لا تخفى

[١] المثالب : العيوب . [٢] الاستجداد : الاحداث . [٣] التجني : ان
يدعى عليه ذنباً لم يفعله . [٤] انتاشه : أنقذه . [٥] الطاقة : شعبة من ريحان
او شعر .

وأراك تشربني فتمزجني ولقدعهدتك شاربي صرفاً [١]

فكتب اليه في الجواب

اتصابى مع الشمط سمتني خطة شطط [٢]

لا تلمني على جفا ي فحسبي بما فرط

انا رهن بما جني ت فذرني من الغلط

قد رأينا أبا الخلا ئق في ذلة هبط

﴿الباب الخامس في دفع الشره﴾

اعلم ان الشره اذا أطلق انصرف الى موافقة الهوى في المطاعم وكم قد اوجبت من امر فزالت بأربابها الى التلف وهي علة تتولد عن قوة النفس الشهوانية. قال الحارث بن كلدة الذي قتل البرية وأهلك السباع في البرية ادخال الطعام على الطعام وقال غيره لو قيل لاهل القبور ما كان سبب آجالكم لقالوا التخم وساق بسنده الى الحسن قال قيل لسمرة ان ابنك لم ينم الليلة قال أبشماً [٣] قيل بشماً قال لو مات لم أصل عليه. البشم في الطعام والبغر [٤] في الماء. قال رجل لرجل يعيره مات ابوك بشماً وماتت امك بغراً. وعن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن فوافقته يتغدى فقال هلم فقلت اكلت حتى لا استطيع ان آكل فقال

---

[١] شراب صرف : محض غير ممزوج. [٢] تصابى : مال الى الجهل والفتوة. الشمط : بياض الرأس يخالطه سواده. الشطط : مجاوزة الحد.
[٣] البشم : التخمة. [٤] البغر : الشرب بلا ري وداء يأخذ الابل فتشرب فلا تروى.

سبحان الله و يأكل المسلم حتى لا يستطيع ان يأكل ·

❊ فصل ❊ واعلم ان العاقل يجب ان يأكل ليبقى والجاهل يؤثر ان يبقى ليأكل ورب لقمة منعت لقمات وكانت سبب الهلاك وقد بينت عيوب الشبع في كتاب لقط المنافع وانما المقصود ههنا زجر النفس الشرهة لتكف الكف عما يؤذيها · وفيما ابتدأت به من ذكر فضل العقل وذم الهوى مايكفي في الامتناع من كل رذيلة وهجر مايخاف عواقبه ·

❊ فصل ❊ وقد يكون الشره في الجماع وقد بينت في كتاب اللقط انه كلما كثر استعماله امتنعت أوعية المني فانجذب اليها غذاء ليس بنضيج واستلبت قوى الاصول وهي الدماغ والقلب والكبد فتبرد الحرارة الغريزية ويسرع لذلك الهلاك ثم ان صورة الوطئ تنبو [١] عنها النفوس الشريفة الا ان يدفع شر محتقن او يطلب ولد فاما ان يصير عادة يكون بالتمتع بنفس الفعل فتلك مزاحمة البهائم ·

❊ فصل ❊ وقد يقع الشره في جمع المال وهو من الجنون البارد اذا زاد على قدر الحاجة لأن المال لا يراد لنفسه وانما يراد لغيره ولا ينكر على من جمع مالا غنى للنفس عنه [٢] فاستغنى به عن الناس وأغني اولاده و بذل

---

[١] تنبو : تتباعد · [٢] في الطب الروحاني للشيرازي : ولا يستهزأ بالمال وتنميته فان المال آلة للمكارم وعون على الدهر وقوة على الدين ومألفة للاخوان وفقد المال معه قلة الاكثرات من الناس وتتبعه قلة الرغبة فيه والرهبة منه وان لم يكن بموضع رغبة او رهبة استخف به الناس قيل لحكيم لم تجمع المال وأنت حكيم قال لأصون به العرض وأؤدي به الفرض واستغني به عن القرض ·

بعضه للمحتاجين الا انه ينبغي للعاقل بعد حصول المقدار والمتوسط من ذلك ان لا يضيع الزمان الشريف وان يخاطر بالروح التي لا قيمة لها في الاسفار وركوب البحار وما احسن قول الشاعر

ومن ينفق الايام في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وكم قد رأينا وسمعنا عن اقوام يقترون على انفسهم في الانفاق ويركبون مع كبر السن البحار ليربحوا بزعمهم فهلكوا في اسفارهم وما بلغوا بعض اغراضهم وهذا المرض ينبغي ان يداوى بتلمح المقصود من المال والموازنة بين حصوله وبين المخاطرة بأنفس نفيس وهي النفس والوقت فمن شاور عقله فهم المراد ومن غلبه مرض الحرص هلك في بيداء الشره ولا وارث الا المطية والرحل ٠

﴿ فصل ﴾ وقد يقع الشره في فنون ما يلتذ به من الأبنية المنقوشة والخيل المسومة والملابس الفاخرة وغير ذلك وهذا مرض أصله موافقة الهوى وعلاجه ان يعلم ان الحساب على كسب الحلال شديد عزيز والتبذير ممنوع منه وان الله تعالى لا ينظر الى من جر ثوبه خيلاء وان كل شيء يؤجر المؤمن عليه الا البناء فالعاقل من نظر في مقدار اقامته وتلمح بيت نقلته فحينئذ يقنع من الثياب بما يواريه [١] ومن البنيان ما يؤويه ٠ وفي الحديث ان نوحاً عليه السلام لبث في بيت شعر الف سنة الا خمسين عاماً وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وضع لبنة على لبنة وكان في

---

[١] يواريه : يستره ٠

ثوب عمر اثنا عشر رقعة فهؤلاء فهموا ان الدنيا مفازة والمفازة لا تتوطن فمن فاته العلم بهذا مرض مرض الشره وعلاجة النظر في العلم والتأمل بسير العلماء العقلاء ٠

﴿ الباب السادس في رفض رياسة الدنيا ﴾

اعلم ان النفس تحب الرفعة والعلو على جنسها فتؤثر الامارة والولاية لمكانة الامر والنهي وهذا وان كان مطلوباً الا ان فيه مخاطرات اقلها العزل بعد الولاية وأعظمها الجور في الحكومة وأوسطها تضييع الزمان اذا لم تصح للوالي نية وينبغي لمن احب الولاية ان يعلم انه انما يتخايلها عظيمة ما لم ينلها فاذا نالها هانت عنده وسما الى غيرها فاللذة تزول والاوزار تبقى والمخاطرة بالنفس والدين فالتفكر في هذه الاشياء علاج٠ بسنده الى ابي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من رجل يلي امر عشرة فما فوق ذلك الا اتى الله عز وجل يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه فكه بره او وبقه [١] اثمه أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة » بسنده الى ابي هريرة مرفوعاً «ويل للامراء ويل للعرفاء [٢] ويل للأمناء ليتمنين اقوام يوم القيامة ان ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والارض ولم

---

[١] اوبقه : اهلكه ٠ [٢] العرفاء : جمع عريف وهو القيم بأمر القبيلة او الجماعة من الناس يلي امورهم ويتعرف الامير منه احوالهم ٠

يكونوا عملوا على شيء» وفي افراد مسلم من حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله الا تستعملني قال فضرب بيده على منكبي ثم قال «يا ابا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الامن اخذها بحقها وأدى الذي عليه لها» وفي لفظ آخر «يا ابا ذر اني احب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم» .

﴿الباب السابع في دفع البخل﴾

اعلم ان مجرد الامساك للمال لا يسمى بخلاً لأن الانسان قد يمسك فاضل المال لحاجته ولحوادث دهره ولاجل عياله وأقاربه وهذا كله من باب الحزم فلا يذم وقد يجد قوم قوة في النفس بحفظ المال وانما يقع اسم البخل على مانع الحق الواجب قال ابن عمر من أدى الزكاة فليس ببخيل ثم يقال لمن منع مالا يضره ولا يكاد يؤثر فيه مما ينتفع به الناس بخيل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «وأي داء ادوأ [١] من البخل» قال ابو محمد الرامهرمزي انما يشبه البخل بالداء لانه يفسد الخلق ويدفع عن السؤدد [٢] ويكسب سوء الثناء والمذمة كما ان الداء يضعف الجسم ويبطل الشهوة ويغير اللون وقد قالت الحكماء : الكريم حر لأنه يملك ماله والبخيل لا يستحق اسم الحرية لان ماله يملكه

---

[١] في اللسان : وفي الحديث «واي داء أدوى من البخل» اي أي عيب أقبح منه؟ قال ابن الاثير الصواب ادوأ من البخل بالهمز ولكن هكذا يروى .
[٢] السؤدد : المجد والشرف .

وبسنده عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ايا كم والشح فان الشح أهلك من كان قبلكم امرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا» وقال عليه السلام «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق» قال الخطابي الشح ابلغ من البخل فهو بمنزلة الجنس والبخل بمنزلة النوع وقال بعضهم البخل ان يضن بماله والشح ان يبخل بماله ومعروفه وقال بشر الحافي لقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين . وعلاج البخل ان يتفكر فيرى ان فقراء بني آدم اخوانه وقد اوثر عليهم واحوجوا اليه فليجعل شكر المنعم مواساة الاخوان ولينظر في شرف الكرم وليعلم انه يسترق الاحرار اذا أسدى اليهم معروفا وينهب عرضه الاشرار اذا بخل وليتيقن انه سيترك مافي يديه ذميما فليخرج منه قبل ان يخرج عنه .

الباب الثامن في النهي عن التبذير

التبذير مما يأمر به الهوى وينهى عنه العقل وأحسن الادب في هذا الباب تأديب الحق سبحانه وتعالى حين قال (ولا تبذر تبذيراً) الآية واعلم ان الانسان قد يعطى رزق شهر في يوم فاذا بذر فيه بقي شهراً يعاني البلاء واذا دبر فيه عاش شهراً طيب العيش . وعلاج مرض التبذير النظر في العواقب والحذر مما يجوز كونه من الحاجة الى الناس والفقر فذلك يكف كف التبذير .

***

﴿ الباب التاسع في بيان مقدار الاكتساب والانفاق ﴾

فينبغي للعاقل ان يكتسب اكثر مما يحتاج اليه ويقتني مايعلم انه لو حدث به حادثة كان في المقتنى عوض عما ذهب ولو عرض له مانع من الاكتساب قام المقتنى بحاجته بقيـة عمره ولو جاءه أولاد واحتاج الى فضل زوجة وخادم واحتاج ولده الى مثل ذلك كان في كسبه مايكفيه وفي الجملة ينبغي ان تكون النفقة اقل من الكسب ليقتني من الفضل مايكون معداً لحادثة لاتؤمن وهذا مايأمر به العقل الناظر في العواقب ولا يبـالي به الهوى الناظر الى الحالة الحاضرة وساق بسنده الى ابي الدرداء مرفوعاً « من فقه الرجل بعد النظر في معيشته » وقد روي موقوفاً ·

﴿ الباب العاشر في ذم الكذب ﴾

هذا من العوارض التي يدعو اليها الهوى وذلك ان الانسان لمحبتـه الرياسة يؤثر ان يكون مخبراً معلماً لعلمه بفضل المخبر على المخبر · وعلاج هذا المرض ان يعلم عقوبة الله للكاذب وان يتيقن انه مع استدامة الكذب لابد ان يطلع على حاله فينقص نقصاً لا يتلافى فيربو حياؤه وخجله واحتقار الناس له وتكذيبهم اياه في الصدق وقلة ثقتهم به على ما اكتذبه · بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « مايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » وقال ابن مسعود كل الخلال [١] يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب ·

---

[١] الخلال : الخصال

﴿ الباب الحادي عشر في دفع الحسد ﴾

الحسد تمني زوال نعمة المحسود وان لم يصر للحاسد مثلها وسبب ذلك حب الميزة على الجنس و كراهة المساواة فاذا حصلت للغير نعمة تميز بها تألم هذا الانسان لتلك الميزة او بمساواته له فيها فلا يزيل ذلك الألم الا زوال تلك النعمة عن المحسود وهذا امر لا يكاد احد ينفك منه في باطنه ولا يأثم الانسان بوجود ذلك بل يأثم بالتمني لزوال النعمة عن اخيه المسلم · واعلم ان الحسد يوجب طول السهر وقلة الغذاء ورداءة اللون وفساد المزاج ودوام الكمد (١) قيل لأعرابي عاش مائة وعشرين سنة ما اطولَ عمرك فقال تركت الحسد فبقيت · واعلم انه لا يقع الحسد الا في امور الدنيا فانك لا ترى احداً يحسد قوام الليل ولا صوام النهار ولا العلماء على العلم بل على الصيت والذكر · وعلاج هذا المرض ان يعلم الانسان اولاً ان الاقدار السابقة لابد ان تجري وان الاحتيال في صرف المقدور غير ممكن وان القسام حكيم ثم هو مالك يعطي و يحرم فهو الذي خلق الطرف (٢) السابق والكودن (٣) وكأن الحاسد مضاد لارادة المعطي سبحانه وقال بعض الحكماء

ألا قل لمن كان لي حاسداً	اتدري على من أسأت الادب
أسأت على الله في فعله	لأنك لم ترض لي ما وهب
فجازاك عني بأن زادني	وسد عليك وجوه الطلب

---

(١) الكمد : الحزن · (٢) الكريم من الخيل · (٣) الفرس الهجين والبرذون ·

ثم ان المحسود لم ينقص الحاسد من رزقه ولم يأخذ شيئاً من يده فقصد الحاسد زوال ما أعطيه ظلم محض· ثم ينبغي للحاسد ان ينظر في حال المحسود فان كان انما نال الدنيا فقط فهذا ينبغي ان يرحم لا ان يحسد لأن الذي ناله في الغالب عليه لا له وهل فضول الدنيا الا هموم كما قال المتنبي

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ماقاته وفضول العيش أشغال

وبيان هذا ان الكثير المال شديد الخوف عليه والكثير الجواري شديد الحذر عليهن قوي الاهتمام بهن او لمن والوالي خائف من العزل ثم ليعلم ان النعم كثيرة الاكدار ثم هي قليلة اللبث والمصائب تردفها فان صاحب النعمة ينتظر زوالها او زواله عنها ثم ليوقن ان مايحسد عليه المحسود ليس هو عند المحسود كما هو عند الحاسد فان الناس يظنون في ارباب المناصب انهم في غاية اللذة ولا يدرون ان الانسان يسمو الى امر فاذا ناله برد عنده وصار عادة له فهو يسمو الى ماهو اعلى منه وهذا الحاسد يرى الامر بعين الجدة والغبطة· وليعلم الحاسد انه لو عاقبه المحسود لما ناله بأشد من الاذى الذي هو فيه فان لم ينتفع بشيء من هذا العلاج فليسع في التسبب الى مثل مانال المحسود فقد قال بعض السلف لقد خشيت الهم حتى في الحسد فان الرجل اذا حسد جاره على الغنى سافر وتاجر ليصير مثله او على العلم سهر وتعلم فقد صار الناس يحبون البطالة ثم يذمون الواصل الى المعالي وما احسن ماقال الرضي

ذنبي. الى البهم الكوادن انني الطرف المطهم والاغر الأقرح (١)
يولونني خزر العيون لأنني غلست في طلب العلى وتصبحوا (٢)
وجذبت بالطِوَل الذي لم يجذبوا ومتحت بالغرب الذي لم يتحوا (٣)
لو لم تكن لي في العيون مهابة لم يطعن الاعداء فيّ ويقدحوا

فان لم ينل مانال المحسود فلتكن مجاهدته امساك لسانه عن ثلبه (٤) وحبس مافي قلبه ·

﴿ فصل ﴾ وقد جاءت الاحاديث بذم الحسد بسنده الى الزبير بن العوام قال قال رسول الله صلى لله عليه وسلم « دب اليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا افلا انبئكم بشيء اذا فعلتموه تحابيتم افشوا السلام بينكم » وبسنده قال عمر بن ميمون رأى موسى صلى الله عليه وسلم رجلاً عند العرش فغبطه بمكانه فسأل عنه فقال نخبرك بعمله لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يمشي بالنميمة ولا يعق والديه وبسنده الى سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله عز وجل القرآن فهو يقوم به آناء الليل

---

[١] المطهم: التام من كل شيء· الاغر: الذي غرته اكبر من الدرهم· الاقرح: الذي في وجهه بياض دون الغرة ·

[٢] الخزر: ان يكون الانسان كأنه ينظر بمؤخر عينه · غلس: سار بغلس·

[٣] الطول: حبل تشد به قائمة الدابة · متح: استقى · الغرب: الدلو العظيمة · [٤] ثلبه: عيبه ·

والنهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في الحق آناء الليل والنهار » اخرجاه في الصحيحين · فان قيل اذا كان الحسد مذموماً فكيف مدحه ههنا فالجواب ان المراد بهذا الغبطة فسماها بالحسد تجوزاً والغبطة ان يتمنى مثل ماللانسان من غير حب زواله عنه ·

﴿ الباب الثاني عشر في دفع الحقد ﴾

الحقد بقاء اثر القبيح من المحقود في نفس ولعمري ان العقل يقضي ببقاء اثر القبيح كما يقضي ببقاء اثر الجميل و بسنده الى عبدالله بن كعب ابن مالك قال سمعت كعب بن مالك يحدث في حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القصة ونزول توبته قال فدخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام الي طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ماقام الي رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة ·اخرجاه في الصحيحين فاذا ثبت ان الجميل لا ينسى فالقبيح كذلك الا انه يستحب الاجتهاد في ازالة اثر القبيح من القلب · وعلاج ذاك ان يكون بالعفو والصفح وللعفو محلان احدهما رؤية الثواب للعافي والثاني شكر من جعل هذا في مرتبة من يعفو وذلك في منزلة من يعفو ومن كمال العفو حصول الرضا وذلك بمحو مافي القلب · وههنا علاج أدق من هذا وهو ان يرى الانسان ان الذي سلط عليه لأ ذاه انما هو بذنب منه او لتكفير خطأ او لرفع درجة او لاختباره في صبره · وثم علاج أدق من هذا وهو ان يرى الاشياء من المقدر ·

﴿ الباب الثالث عشر في دفع الغضب ﴾

لقد بينا ان الغضب انما ركب في طبع الآدمي ليحثه على دفع الاذى عنـه والانتقام من المؤذي له وانما المذموم افراطه فانه حينئذ يزيل التماسك ويخرج عن الاعتدال فيحمل على تجاوز الصواب وربما كانت مكانته في الغضبان اكثر من مكانته في المغضوب عليه. والغضب حرارة تنتشر عند وجود مايغضب فيغلي عندها دم اللذات طلباً للانتقام وربما اثر الحمى وسببه في الغالب الكبر فان الانسان لا يغضب على من هو اعلى منه . وعلاجه اولاً ان يتثبت الغضبان ويغير حاله فان كان ناطقاً سكت وان كان قائماً قعد وان كان قاعداً اضطجع ليسكن تلك الفورة وان خرج في الحال عن المكان وبعد عن المغضوب عليه كان اصلح ثم يتفكر في فضل كظم الغيظ فقـد مدح الله سبحانه القوم فقال (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) فان رأى ما سلط عليه بذنبه او شاهد قدرة المسلط على ما ذكرنا في الحقد هان الامر.

﴿ فصل ﴾ وقدجاء في هذا احاديث فذكر بسنده الى ابي هريرة قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال اوصني قال لا تغضب فردد مراراً قال لا تغضب رواه البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصُّرَعة [١] انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » اخرجاه وأخرجا من حـديث سليمان بن صرد قال كنت

---

[١] الصرعة : المبالغ في الصراع الذي لايغلب .

جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم وزجلان يستبان واحدهما قد احمر وجهه وانتفخت اوداجه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اني لأعلم كلمة لوقالها لذهب عنه مايجد لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد » فقالوا له ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال أوَ بي جنون وروى ابو داود في سننه من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع » قال الخطابي القائم متهيئ للحركة والبطش والقاعد دونه في هذا المعنى وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا غضب احدكم فليسكت » وقال الاحنف ما اعترض التثبت في الغضب الا وهى [١] شيطان العجلة .

﴿ فصل ﴾ ومتى لم يسكن الغضبان عند شدة فورته لم يؤمن ان تبدر منه نكاية [٢] يندم عليها اما في نفسه او في المغضوب عليه فكم ممن غضب فقتل وجرح او كسر عضو ولده ثم بقي الدهر نادماً على ما فعل ومنهم من ينكأ في نفسه فان رجلاً غضب مرة فصاح فنفث [٣] الدم في الحال وأدى به الامر الى الهلاك فمات ولكم [٤] رجل رجلاً فانكسرت اصابع اللاكم ولم يستضر الملكوم . ومن العلاج ان يتصور الغضبان حاله عند الغضب ثم يتصور حاله عند السكون فحينئذ يعلم ان

---

[١] وهى : ضعف . [٢] النكاية : القتل والجرح . [٣] نفث : رمى من فيه . [٤] لكم : ضرب .

حالة الغضب حالة جنون وخروج عن مقتضى العقل ومتى لم ينثن عزم الغضبان عن ضرب المغضوب عليه فاستقر وغير ذلك ووعد نفسه بالفعل بشرط التثبت فانه اذا حصل التثبت رأى قبح ماعزم عليه فترك ٠

﴿ فصل ﴾ وقد كان السلف اذا غضبوا غفروا وصفحوا طلباً لفضيلة العفو وكظم الغيظ ومنهم من يرى السبب في اغضابه ذنوب نفسه ومنهم من يرى انه مختبر الى غير ذلك مما ذكرناه في باب الحقد وفي بعض كتب الله تعالى « يا ابن آدم اذكرني اذا غضبت اذكرك اذا عصيت فلا امحقك مع من امحق واذا ظلمت فارض بنصرتي فان نصرتي خير لك من نصرتك لنفسك » وقال مورق ما تكلمت بكلمة في الغضب فندمت عليها في الرضا وكان ابن عون لا يغضب فاذا أغضبه الرجل قال بارك الله فيك ٠

﴿ فصل ﴾ ولا ينبغي للغضبان على الشخص ان يعاقبه في حال غضبه وان كان مستحقاً للعقوبة بل يمهل حتى يسكن الغضب لتكون العقوبة بمقدار الاساءة لا بمقدار الغضب ٠ اتي عمر بن عبد العزيز برجل كان واجداً [١] عليه فقال لو لا اني غضبان لضربتك ثم خلى سبيله ٠

﴿ الباب الرابع عشر في دفع الكبر ﴾

الكبر تعظيم شأن النفس واحتقار الغير وذلك يكون بسبب الترفع على من هو دونه اما في النسب او المال او العلم أو العبادة أوغير ذلك وعلامة

[١] واجداً : غضبان ٠

الكبر الانفة ممن يتكبر عليه والاختيال والفخر ومحبة تعظيم الناس له وعلاج ذلك نوعان جملي وتفصيلي فأما الجملي فنوعان علمي وعملي فالعلمي في الادلة السمعية والعقلية على رذائل الكبر وأما العملي فصحبة المتواضعين وسماع اخبارهم واما التفصيلي فان ينظر الى رذائل النفس وان يعلم ان مايتكبر به ان كان مالاً فهو مأخوذ منه عن قريب والفضل انما يكون في الغنيِ عن الشيءُ لا به لان الغني بالشيءُ فقير اليه وان كان علماً فقد سبقه خلق كثير أعلم منه ثم علمه ينهاه عن حالته فهو حجة عليه كذلك ان كان عملاً ثم رؤيته للعمل بعين التمام نقيصة ·

﴿ فصل ﴾ ذكر بسنده الى ابي سلمة قال التقى عبدالله بن عمرو وابن عمر على المروة فنزلا فتحدثا ثم مضى عبد الله بن عمرو وقعد ابن عمر يبكي فقيل له ما يبكيك فقال هذا (يعني عبدالله بن عمرو) زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله تعالى في النار على وجهه » و بسنده الى اياس بن سلمة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب من الجبارين حتى يصيبه ما اصابهم) وفي افراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال الرجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس » وفي افراده من حديث الاغر عن ابي هريرة وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله عز وجل

العز ازاري والكبر ردائي فمن نازعني فيهما عذبته ؛ قال الخطابي ومعنى هذا الكلام ان الكبرياء والعظمة صفتان لله اختص بهما لا يشركه فيهما احد ولا ينبغي لمخلوق ان يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل وضرب الرداء والازار مثلاً يقول والله اعلم كما لا يشرك الانسان في ازاره وردائه فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق قال وقوله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر يتأول على وجهين احدهما انه كبر الكفر والثاني انه ينزع الكبر من قلوب اهله قبل دخولهم الجنة وقوله وغمط الناس انه ازرى (١) بهم واستخف بهم ويقال غمط وغمص و بسنده الى الحسن قال تراهم يهدرون عند هدير الفحل انت والله انت والله وتراه مقنعاً ساكتاً يحسب حميق انه مثل ما يقال له قال وترى احدهم يتخزل (٢) في مشيته يسحب عظامه عظماً عظماً لا يمشي طبيعة .

﴿الباب الخامس عشر في دفع العجب﴾

العجب انما ينشأ من حب النفس والمحبوب لا ترى زلته ولا يعتقد نقصه بل يرى بعين الكمال ومن بلايا العجب انه يؤدي الى بغض الامر الذي به وقع العجب لأن المعجب بنفسه في امر لا يتزيد منه ثم يترقى الى ان يعيب غيره في الاعتقاد والنقص في سواه وعلاج العجب البحث عن عيوب النفس على ما بينا آنفاً وسؤال الغير عن قبائحها ومعايبها والنظر في احوال

(١) ازري : تهاون . (٢) يتخزل : يمشي بتثاقل .

من سبقه الى ما أعجب به وبرز (١) عليه فان عجب العالم بعلمه فلينظر في سير العلماء او بزهده فلينظر في سير الزهاد فحينئذ لا يعد نفسه فقد كان الامام احمد يحفظ ألف ألف حديث وكان كهمس بن الحسن يختم كل يوم وليلة ثلاث مرات وصلى سليمان التيمي الفجر بوضوء العتمة (٢) اربعين سنة ومن تأمل سير القوم رأى نفسه فيما حصل بالاضافة اليهم كمن معه دينار يعجب به ولا يدري ان في الدنيا من يملك ألوفاً كثيرة و بسنده قال ابراهيم الخواص العجب يمنع من معرفة قدر النفس وقال بعض الحكماء عجب المرء بنفسه احد حساد عقله وما اضر العجب بالمجلس ٠

﴿ الباب السادس عشر في دفع الرياء ﴾

من عرف الله تعالى حق معرفته اخلص له عمله وانما يقع الرياء من قلة المعرفة له وتعظيم قدر الخلق وايثار النفس مدحهم وحمدهم والناس في هذا المرض متفاوتون فمنهم من لا يقصد بعمله الا مدح الخالق له ومنهم من يريد الله بعمله و يريد مدح المخلوقين ومنهم من لا يقصد الخلق اصلاً فاذا اطلعوا عليه حسن العمل وجوده ليمدح فهذه آفة دخلت على عمل صحيح ٠ وعلاج هذا المرض في الجملة تحقيق معرفة الله سبحانه فمن عرفه افرد القصد له ولم ير غيره وأقام نفسه في مقام العابد الذليل للمعبود لا في مقام معبود ممدوح ورأى ان حصول الاجر انما يكون بخالص العمل فاحترس من تعب ضائع ٠ والعقوبة على الرياء شديدة بسنده حديث عمر

---

(١) برز : فاق ٠ (٢) العتمة : وقت صلاة العشاء ٠

ابن الخطاب « انما الاعمال بالنية وانما لكل امرئ مانوى » وبسنده الى ابي موسى قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ان الرجل يقاتل شجاعة و يقاتل حمية ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله متفق عليها وبسنده الى ابي هريرة قال له قائل الشامي ايها الشيخ حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان اول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ماعملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال هوجريئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ماعملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من اصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ماتركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هوجواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار » انفرد باخراجه مسلم و بسنده الى ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل « قال انا خير الشركاء فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي أشرك » أخرجه مسلم و بسنده الى محمود بن لبيد ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أخوف ما ا خاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الزياء يقول الله تعالى لهم يوم القيامة اذا جازى الناس بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً » وبسنده الى ابي حازم قال لا يحسن عبد فيما بينه و بين العباد ولا يعور (١) فيما بينه و بين الله الاعور الله ما بينه و بين العباد ولمصانعة وجه واحد ايسر من مصانعة الوجوه كلها انك ان صانعت هذا الوجه مالت اليك الوجوه كلها واذا افسدته شنعتك الوجوه كلها وبسنده الى ابن توبة ابو (٢) جعفر عبدالله قال رأيت ابا بكر الأدمي القارئ في النوم بعد موته بمد يده فقلت له ما فعل الله بك فقال وقفني بين يديه وقاسيت شدائد وأموراً صعبة فقلت له فتلك الليالي والمواقف والقرآن فقال ما كان شيء أضر علي منها لأنها كانت الدنيا فقلت فالى اي شيء انتهى امرك قال قال لي تعالى آليت (٣) على نفسي ان لا اعذب ابناء الثمانين ·

﴿ الباب السابع عشر في دفع فضول الفكر ﴾

اعلم ان الفكر يراد لاستدراك فارط والنظر في مصلحة مستقبلة فاذا كان فيما لا يثمرهما كان ضرراً واذا كثر أنهك (٤) البدن قال بقراط ينبغي للعلماء ان يتركوا الفكر وقتاً ما لئلا ينهك ابدانهم قلت ولا يجوز للعاقل ان

---

(١) عور عين الماء : افسدها حتى نضب الماء · (٢) كذا في الاصل ·
(٣) آليت : حلفت · (٤) أنهك : أضعف ·

يخلي نفسه من الفكر ولكن يكون فيما يتصور له نيله فأما اذا تفكر العامي في ان يكون خليفة وان ينال علم ابي حنيفة والشافعي ثم يجمع بينه وبين زهد بشر ومعروف الكرخي ويحصل مثل مال عبد الرحمن بن عوف فهذه افكار تضني (١) وتردي (٢) خصوصاً اذا قنع بالفكر واستعمل الكسل عن الطلب وانما ينبغي ان يتفكر فيما تصل اليه قدمه ويطمع لمثله فيه من الخير ويتفكر في جهاده للطبع في دفع الشر فقد تفكر خلق كثير من العصاة في عواقبهم فتابوا وكثير من الملوك في غرور الدنيا فتزهدوا قال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وبسنده الى ام الدرداء قيل لها ما كان افضل عمل ابي الدرداء قالت التفكر والاعتبار ووقف مالك بن دينار ليلة في داره على قدمه الى الفجر فقال ما زال اهل النار يعرضون علي بسلاسلهم وأغلالهم الى الصباح وقال بعض الحكماء بترداد الفكر ينجاب (٣) العمى ٠

﴿ الباب الثامن عشر في دفع فضول الحزن ﴾

اعلم ان العاقل لا يخلو من الحزن لأنه يتفكر في سالف ذنوبه فيحزن على تفريطه وفيما قال العلماء والصالحون فيحزن لفوته بسنده الى مالك بن دينار قال ان القلب اذا لم يكن فيه حزن خرب كما ان البيت اذا لم يسكن خرب وبسنده الى ابراهيم بن عيسى قال ما رأيت اطول حزناً من الحسن وما رأيته قط الا حسبته حديث عهد بمصيبة وبسنده الى مالك

---

(١) تضني : تمرض ٠ (٢) تردي : تهلك ٠ (٣) ينجاب : ينكشف ٠

ابن دينار قال بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك
واذ قد تبين ان الحزن لايزال ملازماً قلوب المتقين فينبغي ان يتقى افراطه
لأن الحزن انما يكون على الفائت وقد عرفنا طريق الاستدراك وجاء في
الحديث « بقية عمر المؤمن لا قيمة له يستدرك فيه ما فات » فان كان
المحزون عليه لا يمكن استدراكه لم ينفع الحزن وان كان ديناً
فينبغي ان يقاومه برجاء الفضل والرحمة ليعتدل الحال فأما اذا
كان الحزن لأجل الدنيا وما فات منها فذلك الخسران المبين
فليدفعه العاقل عن نفسه . وأقوى علاجه ان يعلم انه لايرد فائتاً وانما
يضم الى المصيبة فتصير اثنتين والمصيبة ينبغي ان تخفف عن القلب
وتدفع فاذا استعمل الحزن والجزع زادت ثقلاً قال ابن عمر اذا استأثر الله
بشيءٍ فاله عنه ثم في الخلف عن الفائت ما يسلي فان عدم ما يسلي
اجتهد في صرف ذلك عن قلبه وليعلم ان الداعي الى الحزن الهوى لا
العقل لأن العقل لايدعو الى ما لا ينفع وليعلم انه سيسلو بعد حين
فليجتهد في تقديم المؤخر وليرتح ما بين الزمانين ومما يمحق الحزن العلم
بأنه لا يفيد والايمان بالثواب ويذكر من أصابه اكثر من مصيبته .

﴿ الباب التاسع عشر في دفع فضول الغم والهم ﴾

الغم يكون للماضي والهم للمستقبل فمن اغتم لما مضى من ذنوبه نفعه
غمه على تفريطه لأنه يثاب عليه ومن اهتم بعمل خير نفعته همته فأما
اذا اغتم لمفقود من الدنيا فالمفقود لا يرجع والغم يؤذي فكأنه أضاف

الى الأذى أذي كما قلنا في الحزن وينبغي للحازم ان يحترز مما يجلب الغم وجالبه فقد المحبوب فمن كثرت محبوباته كثر غمه ومن قللها قل غمه فان قال قائل اذا لم اجد محبوباً اغتممت قيل له صدقت ولكن لا يبلغ غمك بالعدم معشار عشر غم من فقد المحبوب الا ترى ان من لاولد له يغتم ولكن لا كغم من أصيب بولده ثم ان الانسان كلما طال الفه لما يحبه واستمتاعه به تمكن من قلبه فاذا فقده أحس من مر التألم في لحظة لفقده بما يزيد على لذات دهره المتقدم وهذا لأن المحبوب ملائم للنفس كالصحة فلا تجد النفس لذتها الا عند وجودها وفقدها مناف لها ولذلك تألم بالفقد مالا نفرح بالموجود لأنها ترى وجود المحبوب كالحق الواجب لها فينبغي للعاقل تقليل الالفة فان اضطر الى جوالب الغم فأثرت الغم فعلاجه في الاول الايمان بالقدر وانه لابد مما قضي ثم يعلم ان الدنيا موضوعة على الكدر فالبناء الى النقض والجمع الى التفرق ومن رام بقاء مالا يبقى كان كمن رام وجود مالا يوجد فلا ينبغي ان يطلب من الدنيا مالم توضع عليه كما قال الشاعر

طبعت على كدر وانت تريدها　　صفواً من الايذاء والاكدار

ثم يتصور مانزل به مضاعفاً فيهون عليه حينئذ ما هو فيه ومن عادة الحمال الحازم ان يترك فوق حمله شيئاً ثقيلاً ثم يمشي خطوات ثم يولي به فيخف الامر عنه ثم ليرتقب زمن العافية هجوم البلاء فاذا هجم مايكرهه وليتمثل كلما يتصور نزوله نازلاً فاذا نزل بعض ذلك كان ربحاً مثل ان يتصور ان يؤخذ ماله كله فاذا اخذ البعض عد الباقي

غنيمة و يتصور ان يعمى فاذا رمد سهل الامر و كذلك جميع المضرات قال الشاعر

يمثل ذو اللب [١] في نفسه مصائبه قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه [٢] لمـا كان في نفسه مثلا
وذو الجهل يأمن ايامه و ينسى مصارع من قد خلا
فان بدهته صروف الزمان ببعض مصائبه أعولا [٣]
ولو قدم الحزم في امره لعلمه الصبر حسن البلا

قال بعض السلف رأيت امرأة فتعجبت من نضارتها [٤] فقلت هذا وجه ما طرقه حزن فقالت لا تقل هذا فما اعرف من ناله مانالني كان لي زوج فاشترى أضحية فذبحها وله ولدان فقال الاكبر للاصغر تعال حتى أريك كيف ذبح ابي الشاة فذبحه فلما طلبناه هرب فخرج الاب في طلبه فهلكا فقلت و كيف حزنك قالت لو وجدت في الحزن دركا [٥] لاستعملته .

﴿ فصل ﴾ وقد يقع الحزن والغم من غلبة السوداء فيعالج بما يزيل السوداء بالمفرحات . والغم يجمد الدم والسرور يلهب الدم حتى تعلو حرارته الغريزية وجميعاً يضران وربما قتلا ان لم يعجل تفتيرهما .

---

(١) العاقل . (٢) لم تفزعه . (٣) بدهته : فجأته . صروف : حوادث . أعول : رفع صوته بالبكاء . (٤) النضارة : حسن الوجـه . (٥) ادراك الحاجة .

﴿ الباب العشرون في دفع فضول الخوف والحذر من الموت ﴾

الخوف والحذر انما هما للمستقبل والحازم من أعد للخوف عدته قبل وقوعه ونفى فضول الخوف مما لا بد منه اذ لا ينفعه خوفه منه وقد اشتد الخوف من الله تعالى بكثير من الصالحين حتى سألوا الله تعالى تقليل ذلك والسبب في سوء الم ان الخوف كالسوط (١) فاذا ألح بالسوط على الناقة قلقت وانما ندب (٢) به المتواني بسنده الى سفيان الثوري قال لشاب يجالسه أتحب ان تخشى الله حق خشيته قال نعم قال انت أحمق لو خشيته حق خشيته ما اديت الفرائض ٠

﴿ فصل ﴾ ولا ينبغي للعاقل ان يشتد خوفه من نزول المرض فانه نازل لابد وخوف مالا بد ان يأتي زيادة أذى فأما الخوف من الموت والفكر فيه فانه لا سبيل الى دفعه عن النفس وانما يخفف الامر العلم بأنه لا بد منه فلا يفيد الحذر الا زيادة على المحذور وكلما تصورت شدته كانت كل تصويرة موتاً فليصرف الانسان فكره عن تصور الموت ليكون ميتاً مرة لا مرات ويكون صرف الفكر ربحاً وليعلم ان الله تعالى قادر على تهوينه اذا شاء وليوقن بأن مابعده أخوف منه لأن الموت قنطرة الى منزل اقامة وانما ينبغي للانسان ان يكثر من ذكر الموت ليعمل له لا لنفس تصويره وتمثيله فان خطر على القلب الحزن على فراق الدنيا فعلاج ذلك ان يعلم انها ليست بدار لذة وانما لذاتها راحة من مؤلم ومثل هذا لا ينافس فيه

---

(١) مايضرب به ٠ (٢) كذا في الأصل ولعله مصحف عن «يرجى» أو «يذب» ٠

فان حزن العاقل على فراق الدنيا لفوت العمل الصالح فقد كان السلف يحزنون لذلك قال معاذ بن جبل عند موته اللهم انك تعلم اني لم اكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر (١) ومكابدة (٢) الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ·

﴿ فصل ﴾ ومن نزل به الموت فليعلم انها ساعة تحتاج الى معاناة صعبة لأن صورتها ألم محض وفراق المحبوبات ثم ينضم الى ذلك هول السكرات والخوف من المآل ويأتي الشيطان فيسخط العبد على ربه ويقول انظر في اي شيء ألقاك وما الذي قضى عليك وكيف يؤلمك وها انت تفارق ولدك وأهلك وتلقى بين اطباق الثرى (٣) فربما أسخطه علَى ربه وكره قضاء الله تعالى اليه وأنطقه بكلام يتضمن نوع اعتراض وربما حسن اليه الجور (٤) في الوصية وان يزوي (٥) لبعض الورثة الى غير ذلك من المحن (٦) فتعين حينئذٍ الحاجة الى معالجة ابليس ومعالجة النفس وقد نقل ابو داود من حديث ابي اليسر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول «اعوذ بك ان يتخبطني (٧) الشيطان عند الموت» وفي تلك الساعة يقول الشيطان لأعوانه ان فاتكم الآن لم تقدروا عليه ابداً فأما العلاج لتلك الشدائد فينبغي ان نذكر قبله مقدمة وهو ان من حفظ

---

(١) جمع هاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر · (٢) مقاساة الشدة · (٣) التراب الندي · (٤) الظلم · (٥) يجمع · (٦) جمع محنة التي يمتحن بها الانسان من بليته · (٧) يفسدني ·

الله في صحته حفظه الله في مرضه ومن راقب الله في خطراته حرسه الله عند حركات جوارحه وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » ثم قد سمعت قصة يونس عليه السلام لما كانت له أعمال خير متقدمة انتاشته من شدته فقال تعالى (فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون) ولما لم يكن لفرعون عمل خير لم يجد وقت الشدة متعلقاً فقيل له (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وكان عبد الصمد الزاهد يقول عند الموت سيدي لهذه الساعة خبأتك فأما من ضيع في صحته فانه يضيع في مرضه كما نقل عن بعض الصحابة انه رأى شيخاً يطلب من الناس فقال هذا ضيع امر الله في صغره فضيعه الله في كبره . فأما نفس العلاج فينبغي ان تشجع النفس وتقول لها انما هي ساعة ثم ارجو كمال الراحة كما قال عليه السلام (لا كرب على ابيك بعد اليوم) (١) ودعي ابو بكر بن عياش عند الموت الى الرجاء فقال كيف لا أرجوه وقد صمت له ثمانين رمضان وقال المعتمر ابن سليمان قال لي ابي يا بني اقرأ علي احاديث الرخص لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به فينبغي للمؤمن أن يرمي صوت الخوف و يحدو (٢) الناقة كما قال حادي البادية

---

(١) في السيرة الدحلانية قالت عائشة رضي الله عنها ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها وا كرب ابتاه قال لها عليه الصلاة والسلام لا كرب الخ .

(٢) حدى الناقة ساقها وغنى لها .

بشـرها دليلهـا وقالا غداً ترين الطلح (١) والجبالا

بسنده الى ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي) متفق عليه و بسنده الى جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث يقول (لا يموت احدكم الا وهو يحسن بالله الظن) أخرجـه مسلم و قال الفضيـل بن عياض الخوف أفضل من الرجاء فاذا نزل الموت فالرجاء افضل قلت وهـذا صحيح لما بينا من ان الخوف سوط يساق به المتواني فاذا كل (٢) البعير لم يبق الا الرفق فان قيل فما تقول في خوف عمر بن عبد العزيز عند الموت فالجواب انه لما تعلقت به حقوق الرعية خاف من مطالب طبعه مبني على الشح كان يقول انما أخاف ولايتكم هذه على انه قد كان يتمسك بأذيال الرجال فان ابن عباس لما قال له ابشر يا امير المؤمنين وليت فعدلت ثم شهادة فقال اتشهدلي بهذا عند الله يا ابن عباس .

﴿فصل﴾ فان اشتد بالمريض كرب (٣) فليحسب ذلك في باب الأجر فقد كانوا يستحبون للمريض شدة النزع (٤) ليكفر ذلك عنه الذنوب بسنده الى ابراهيم قال كانوا يستحبون ان يجهدوا عند الموت وذكر بسنده عن عمر بن عبد العزيز قال ما احب ان تهون علي سكرات الموت انه آخر ما يكفر به عن المرء المسلم .

﴿فصل﴾ وينبغي للمريض مادام ثابت العقل ان يتوب ليلقى الله طاهراً

---

(١) شجر عظام من شجر العضاه . (٢) تعب . (٣) غم . (٤) قلع الروح .

من كل ذنب وان يجرد (١) وصيته وان يسلم اهله وولده الى الله سبحانه وتعالى فانه يتولى الصالحين ·

﴿ فصل ﴾ فان ازعجه الشيطان بذكر البلى فليعلم ان البلى واقع على المركب والراكب قد رحل وليعلم ان الشريعة قد مضت بوصول المؤمن بعد الموت الى النعيم الدائم فمن حقق الايمان لم يحزن لأن مآل المؤمن الى الخير ومن لم يتحقق الايمان فليحزن لفقد التحقيق وبسنده الى كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نسمة [٢] المسلم طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله الى جسده» ومقصودنا من هذا الباب ان يكون الخوف من الموت بمقدار لئلا ينهك البدن ويبالغ في الاذى وان يخاف لما بعد الموت فيعمل له ·

﴿ الباب الحادي والعشرون في دفع فضول الفرح ﴾

اذا اشتد الفرح التهب الدم وذلك يضر وربما قتل ان لم يعدل وينبغي للانسان اذا رأى اسباب الفرح ان يدرج نفسه اليه فان يوسف عليه السلام لما التقى بأخيه سأله هل لك من اب ولم يزل يلاطفه لئلا يفجأه بالسبب المفرح والفرح ينبغي ان يكون بمقدار ليعدل الحزن فأما اذا أفرط فانه دليل على الغفلة القوية اذ لا وجه للفرح عند العاقل فانما يفرح بالطبع لما يفرح ثم يذكر مصيره وخوف مآله فينمحي ذلك الفرح ومتى قويت غفلة الفرح حملت الى الأشر والبطر ومن هذا

---

(١) كذلك في الاصل ولعله مصحف عن « يحرر» · (٢) نسمة المسلم نفسه ·

قوله تعالى (لا يحب الفرحين) يعني الأشرين الذين خرجوا بالفرح الي البطر . وعلاج شدة الفرح بالفكر فيما قد سلف من الذنوب وفيما بين يدي العبد من الشدائد وقد قال الحسن البصري فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب بها فرحاً .

﴿ الباب الثاني والعشرون في دفع الكسل ﴾

الموجب للكسل حب الراحة وإيثار البطالة وصعوبة المشاق وفي الصحيحين من حديث انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر ان يقول « اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل » وفي افراد مسلم من افراد ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » وفي كل حين احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز فان أصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل فان (لو) يفتح عمل الشيطان وقال ابن مسعود اني لأبغض الرجل أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة وقال يكون في آخر الزمان اقوام افضل اعمالهم التلاوم (١) بينهم يسمون الاتيان (٢) وقال ابن عباس تزوج التواني (٣) بالكسل فولد بينهما الفقر وقال مالك بن دينار مامن اعمال البر شيء الا ودونه عقبة فان صبر صاحبها أفضت به الى روح وان

---

(١) لوم كل واحد صاحبه . (٢) كذا في الاصل. (٣) عدم الاهتمام.

جزع [١] رجع وقال سفيان الثوري مضى القوم على الخيل العتاق [٢] و بقيناعلى حمر دبرة [٣].

❊ فصل ❊ وعلاج الكسل تحريك الهمة بخوف فوات القصد وبالوقوع في عقاب اللوم او بالحصول في يد التاسف فان أسف المفرط اذا عاين اجر المجتهد أعظم من كل عقاب وليفكر العاقل في سوء مغبة [٤] الكسل فرب راحة اوجبت حسرات وندماً ومن رأى جاره قد سافر ثم عاد بالأرباح زادت حسرة أسفه على لذة كسله أضعافاً وكذلك اذا برع احد الرفيقين في العلم وتكاسل الآخر والمقصود ان ألم الفوات يربو على لذة الكسل وقد أجمع الحكماء على ان الحكمة لا تدرك بالراحة فمن تلمح ثمرة الكسل اجتنبه ومن مد فطنته الى ثمرات الجد نسي مشاق الطريق ثم ان اللبيب يعلم انه لم يخلق عبثاً وانما هو في الدنيا كالاجير او كالتاجر ثم ان زمان العمل بالاضافة الى مدة البقاء في القبر كلحظة ثم اضافة ذلك الى البقاء السرمدي اما في الجنة واما في النار ليس بشيء ومن انفع العلاج النظر في سير المجتهدين فالعجب من مؤثر البطالة في موسم الارباح وتارك الاستلاب وقت النثار بسنده الى فرقد قال انكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل الم تروا الى الفاعل اذا عمل كيف يلبس ادنى ثيابه فاذا فرغ اغتسل ولبس ثوبين نقيين وأنتم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل.

---

(١) لم يصبر. (٢) الكرام. (٣) التي أصابها الدبر وهو الجرح في الظهر.
(٤) عاقبة.

❋ الباب الثالث والعشرون في تعريف الرجل عيوب نفسه ❋

اعلم ان النفس محبوبة وعيوب المحبوب قد تخفى على المحب وفي الناس من يقوى نظره وجهاده للنفس فينزلها منزلة العدو في المخالفة فيظهر له عيوبها قال اياس بن معوية من لم يعرف عيب نفسه فهو احمق فقيل له فما عيبك قال كثرة الكلام وهذا امر نادر والعمل على الغالب فان الغالب ان يخفي الانسان عيوب نفسه ولسنا نريد انه لا يعرف عيباً فان العاقل اذا اتى عيباً عرفه وانما غرضنا العيوب الباطنة فانها كالامراض الباطنة التي لا يعلم بها الطبيب فيصف لها دواءً ولا عليها امارة ومحبة الانسان لنفسه تمنعه ان يرى العيب الخفي عيباً كما قال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقد روي ان رجلاً صحب رجلاً فلما اراد ان يفارقه قال له اخبرني عن عيوبي فقال سل غيري فاني كنت اراك بعين الرضا فان قيل فاذا كانت العيوب باطنة والانسان لا يراها عيوباً فكيف الطريق الى تعرفها فالجواب ان لذلك سبع طرق الطريق الاول ان يتخير صديقاً من أعقل مخالطيه ويسأله ابانة ما يرى من قبيحه ويعرفه ان ذلك منة منه عليه فاذا اخبره ابتهج بما سمع منه ولم يظهر له الحزن على ذلك لئلا يقصر في شرح الامور ويقول له متى كتمتني شيئاً عددتك غاشاً والطريق الثاني ان يبحث عما يقوله فيه جيرانه واخوانه ومعاملوه وبماذا يمدحونه او يذمونه والطريق الثالث ان يتطلع الى ما يقول فيه الاعداء فان العدو بحاث عن العيوب ومن هذا الوجه ينتفع الانسان بعدوه ما لا ينتفع بصديقه لأن

العدو يذكر النقص والصديق يستر الخلل فاذا عرف الانسان من طريق عدوه نقصه اجتنبه والطريق الرابع ان يصور افعاله في غيره ثم يستعمل منها مايستحسن ويترك مايستقبح والطريق الخامس ان يعمل فكره في عواقب خلاله وثمراتها فيرى عيب العيب وحسن الحسن فان الفكر الصادق نافذ والسادس ان يعرض اعماله على محك الشرع ويريها نافذ العقل و يضعها في موازين العدل فانه يرى الارجح والادون والسابع ان ينظر في سير العاملين ثم يقيس افعاله بأفعالهم فيرى حينئذ ان آثار النقص عيب فيجتنبه فضلاً عن فعل القبيح ·

﴿ الباب الرابع والعشرون في تنبيه الهمة الدنية ﴾

اذا كانت الهمة الدنية طبعاً لم ينجع (١) فيها العلاج فان كانت مكتسبة بصحبة الادنياء او لغلبة الطبع والهوى فعلاجها قريب وذلك من وجوه منها مقاطعة اهل الدناءة انفة منهم ومواصلة ارباب الهمم العالية ثم التفكر بالعواقب ومآل الدناءة ومصير اولي الجد والاجتهاد كما قال عبد الصمد مات رجل من السعاة وقد بقي له شرط والناس يقولون له مت اليوم تحي ابداً فانتبهت بها ومن تفكر في المرتفعين في الهمم علم انهم كهو من حيث الاصلية والآدمية غير ان حب البطالة والراحة جنيا عليه فأوثقاه فساروا وهو قاعد ولو حرك قدم العزم لوصل قال الشاعر

اذا أعجبتك خصال امرئ فكنه تكن مثل ما أعجبك

---

(١) لم يؤثر ·

فليس على الجود والمكرمات اذا جئتهـا حاجباً يحجبك

ومن نظر في اخبار السلف رأى عموم الفقهاء والعلماء وا كثر المشار اليهم بذلك من الموالي ومن الضعفاء وأهل الحرف الدنيـة الا ان الهمم أثرت فأثارت عن موطن ولو تفكر ارباب الهمم الدنية في عواقبها وما يجيء عليهم لرأوا البطالة عدواً وانما صحبوا دناءة الهمة تعجلاً للراحة وما يلقونه من الحسرات على فوت الفضائل والسقوط من اعين الناس والاهانة بهم اعظم من كل كرب وشدة . وما يناله ارباب التعب من الراحة في تعظيم الخلق لهم وارتفاع قدرهم في الدنيا قبل الآخرة ينسي مرارة كل نصب (١) فكأنه ما تعب من اسـتراح ولا استراح من تعب بسنده الى انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بأنعم اهل الدنيا من اهل النار فيصبغ (٢) في النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب و يؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من اهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط هل مرت بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط » وبيان هذا ان التعب ينقضي وتبقى الراحة والراحة تذهب وتبقى الحسرة والمقـام موسم والفوات معترض والاستلاب عاجل وفي بعض هذا ازعاج للمتواني .

* * *

(١) تعب . (٢) يغمس كما يغمس الثوب في الصبغ .

﴿ الباب الخامس والعشرون في رياضة النفس ﴾

الاصل في الامزجة الصحة والعلل طارئة وكل مولود يولد على الفطرة ويوضح ما قلناه ان الرياضة لا تصلح الا في نجيب (١) والكودن لا تنفعه الرياضة والسبع وان ربي صغيراً لا يترك الافتراس اذا كبر وقد عرفت تلك الحكايــة (فمن أنباك ان أباك ذيب) واعلم ان في الانسان قوى ثلاثة قوة ناطقة وقوة شهوانية وقوة غضبية فينبغي لمن شرفه الله تعالى بحب العلم ان يعتني بتكميل النفس الناطقه التي فضله الله تعالى بها على سائر الحيوانات وشارك بها الملائكة فيجعلها هي المسلطة على القوتين الأخريين أعني الشهوانية والغضبية لتكون منزلتها في البدن بمنزلة الراكب للفرس فان الفارس ينبغي ان يكون هو المسلط على الفرس لاستعلائه فيمضي بها اين يشاء ويعقها اذا شاء. فكذلك ينبغي ان تكون القوة الناطقــة هي المستعلية على باقي القوى تستعملها كما تحب وتكفها حين تحب ومن كان كذلك استحق ان يسمى انساناً حقيقة قال افلاطون الانسان بالحقيقة من كانت نفسه الناطقــة اقوى الانفس لأن الشهوانية اذا افرطت خرج الانسان الى طبع البهيمية ومن سيب (٢) هواه في مرعاه وجعل حبله على غاربه (٣) فقد خرج عن مركزه فصار أخس من البهائم لأن تلك تمضي بطباعها وهــذا قد خالف طبعه ومتى افرطت القوة الغضبية خرج الانسان الى اخلاق السباع والضواري

---

(١) النجيب : الكريم. (٢) سيب الدابة : تركها تمر حيث شاءت. (٣) قال له اذهب حيث شئت.

فينبغي ان يروض نفسه بمخالفة الشهوانية و يكسر الغضبية و يتبع القوة الناطقة حتى يتشبه بالملائكة و يتحرز من عبودية الشهوة والغضب ·

﴿فصل﴾ واعلم ان الرياضة للنفس تكون بالتلطف والتنقل من حال الى حال ولا ينبغي ان يوءخذ اولاً بالعنف ولكن بالتلطف ثم يمزج الرغبة والرهبة و يعين على الرياضة صحبة الاخيار والبعد عن الاشرار ودراسة القرآن والاخبار واجالة الفكر في الجنة والنار ومطالعة سير الحكماء والزهاد وقد كان بعض السلف يشتهي الحلوا فيعدها لنفسه فاذا صلى بالليل اطعمها وكان الثوري يأكل مايشتهي ثم يقوم الى الصباح ويقول أطعم الزنجي ولده وما زال المحققون يلطفون بنفوسهم الى ان ملكوها فقهروها وقال بعض جيران مالك بن دينار سمعته ليلة يقول لنفسه هكذا فكوني فلما أصبحت قلت له مامعك في الدار احد فلمن قلت قال ان نفسي طلبت مني أدما (١) وألحت فمنعتها الطعام ثلاثة ايام فلما كانت الليلة وقد انقضت الايام وجدت كسرة يابسة فبادرت اليها فقلت ففي آتيك بخبز لين فقالت قنعت بهذه قلت هكذا فكوني واعلم انه اذا علمت منك النفس الجد جدت واذا عرفت منك التكاسل طمعت فيك كما قال الشاعر

و يعرف اخلاق الجواد جواده ... فيجهده كراً ويرهقه ذعراً

ومن الرياضة لها محاسبتها على كل فعل وقول ومحاسبتها في كل تقصير وذنب فاذا تمت رياضتها حمدت ماذمت من تعبها قال ثابت البناني كابدت

(١) مايوءتدم به ·

الليل عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وقال ابو يزيد ما زلت اسوق نفسي الى الله تعالى وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك وفي هذا المعنى قول الشاعر

ما زلت اضحك ابكي كلما نظرت الى أن اختضبت أجفانها بدمي

وبعد هذا فلا ينبغي ان ينسى حقها فان من حقها اعطاءها حظوظها التي لا تقدح في مقصود الرياضة فانها اذا منعت مقاصدها في الجملة عمي القلب وتشتت الهم وتكلف التعبد واعلم ان قدر النفس عند الله سبحانه اعظم من قدر العبادات ولهذا أُباح الفطر للمسافر وانما يعقل هذا العلماء ٠

﴿ الباب السادس والعشرون في ذكر رياضة الاولاد ﴾

اقوم التقويم ما كان في الصغر فأما اذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن (١) كان رده صعباً قال الشاعر

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ولا يلين اذا قومته الخشب
قد ينفع الادب الاحداث في مهل وليس ينفع في ذي الشيبة الادب

ثم المواظبة على الرياضة أصل عظيم خصوصاً في حق الصبيان فان ذلك يفيدهم ان يصير الخير عادة قال الشاعر

لا تسه عن ادب الصغير وان شكا ألم التعب

واعلم ان الطبيب ينظر الى سن المعالج ومكانه وزمانه ثم يصف فكذلك ينبغي ان تكون رياضة كل شخص على قدر حاله وامارة فلاح

---

(١) تعود ٠

الصبي وفساده تتبين من طفولته فالنجيب منهم يتنبه بالتعلم والذي ليس بنجيب لا ينفعه التعلم كما لايصير الهجان (١) بالرياضة نجيباً و ينبغي ان يتلطف بالصبي قال رجل لسفيان الثوري نضرب اولادنا على الصلاة قال بل بشرهم وكان زبيد اليافي يقول للصبيان من صلى منكم فله خمس جوزات وقال ابراهيم بن أدهم اي بني اطلب الحديث فكلما سمعت حديثاً فلك درهم فطلب الحديث على هذا ٠

﴿ فصل ﴾ وليعلم الوالد أن الولد امانة عنده فليجنبه قرناء السوء من الصغر ولا يعوده وليلق اليه الخير فان قلبه فارغ يقبل ما يلقى اليه وليحبب اليه الحياء والسخاء وليلبسه الثياب البيض فان طلب الملون قال له تلك ملابس النساء والمخانيث وليبادر بأخبار الصالحين وليجنبه اشعار الغزل لأنها بذر الفساد ولا يمنع من اشعار السخاء والشجاعة ليمجد (٢) و ينجد (٣) فان اساء تغافل عن اساءته ولا يهتك مؤدبه ما بينه و بينه من الستر ولا يوبخ الا سراً و يمنع من كثرة الاكل والنوم و يعود الخشونة في المطعم والمفرش فانه أصح لبدنه و يعالج بالرياضات الجسمانية كالمشي و يؤدب بالنهي عن استدبار الناس والامتخاط بينهم والتثاؤب فاذا علقت به خلة قبيحة بولغ في ردعه عنها قبل ان تتمكن ولا بأس بضربه اذا لم ينفع اللطف فقد قال لقمان لابنه يابني ضرب الوالد للولد مثل السماد (٤)

---

(١) الذي ولدته برذونة من حصان عربي ٠ (٢) يكرم ٠ (٣) يصير ذا بأس وشدة ٠ (٤) مايصلح به الزرع من تراب او سرقين ٠

للزرع واذا رآه عرماً في صغره فليتلطف به فقد قال ابن عباس عرامة (١) الصبي زيادة في عقله ·

❊ فصل ❊ وكان الحكماء يقولون ابنك ريحانتك سبع سنين وخادمك سبع سنين فان صار ابن اربع عشرة سنة فان احسنت اليه فهو شريكك وان اسأت اليه فهوعدوك ولا ينبغي ان يضرب بعد بلوغه ولا ان يساء اليه لأنه حينئذٍ يتمنى فقد الوالد ليستبد برأي نفسه ومن بلغ عشرين سنة ولم يصلح فبعيد صلاحه الا ان الرفق متعين بالكل ·

❊ الباب السابع والعشرون في رياضة الزوجة ومداراتها ❊

من المتعين المبالغة في النظر به هذا الباب فأصلح الامور ان يتزوج الرجل البكر التي لم تعرف سواه فقد قالت الحكماء البكر لك والثيب عليك الا انه من أعظم الغلط ان يتزوج الشيخ الكبير طفلة فانها تصير كالعدو ولكنه يحبسها عن اغراضها ولا تقدر ان تفي مرادها وهي أنفر عن الشيخ طبعاً فان ابتلي الانسان بذلك فليسم بغضه عندها بحسن خلقه واحتماله وكثرة الانفاق عليها وقد أمعنا الشرح لهذه الجملة في كتاب الشيب وينبغي ان يتزين لها كما يحب ان تتزين له ويستر جسده عنها فلا ترى منه الا المستحسن وكذلك ينبغي لها ان تفعل ·

❊ فصل ❊ ولا ينبغي للرجل ان يمزح مع الامرأة فتطمع فيه طمعاً يخرجها عن طاعته ولا ان يسلم ماله اليها فيصير هو كالرهن في يدها

---

(١) العرامة : الحدة ·

فربما استغنت واستوثقت لنفسها ثم تركته وقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما) بل ينبغي ان يمزح بنوع من الهيبة ·

﴿ فصل ﴾ واكثر العلاج في اصلاح المرأة منعها من محادثة جنسها ومن خروجها من بيتها واطلاعها من ذروته وان تكون عنده عجوز تؤدبها وتلقنها تعظيم الزوج وتعرفها حقوقه وتعظم قليل الانفاق عندها وتكون كالحافظ فان عقل الصبي مأفون [١] ·

﴿ فصل ﴾ وان وجد الشيخ امرأة قد خرجت عن زمان الصبا ولم تدخل في الكهولة [٢] كانت أصلح وأطيب لعيشه وأقل امتناناً عليه واكثر توقيراً له ·

﴿ فصل ﴾ فأما الشاب فانه يذل ولا يذل فاذا اراد التمتع بالنساء فالرأي له ان كان له مكنة اشترى الجواري الصغار فانهن لم يعرفن الغيرة وهي قليلة عندهن لموضع الملكة وقدرته على الاستبدال والبيع ولتكن معهن حافظة ولتكن على الحافظة حافظة ·

﴿ فصل ﴾ ومن رزق امرأة على مراداته فليهب ما فات لما حصل فان الاصول اذا كانت محفوظة لم تذكر الفروع وكثرة النساء تحتاج الى مؤنات عظام أقلهن حفظهن ·

---

(١) ناقص · (٢) الكهل : الذي جاوز الثلاثين وخالطه الشيب ·

﴿ الباب الثامن والعشرون في رياضة الاهل والمماليك ومداراتهم ﴾

اعلم ان الاهل اذا رأوك قد فقتهم بمال او جاه حسدوك ومقاطعتهم محرمة فالمداراة لازمة وذلك بالبر لهم مع كتمان بواطن الاحوال عنهم ومن اعظم الغلط حرمان بعضهم واعطاء البعض فمن اختـار ذلك فليجتهد في اسرار الامر لئلا يشتري بالمنع البغض . وأما المماليك فانهم مالكون على الحقيقة لمالكيهم لأن المطاعم والمشارب اليهم فينبغي ان يتلطف بهم لئلا يحتالوا على القتل قال بزرجمهر نحن ملوك على رعيتنا وخدمنا ملوك على ارواحنا ولا حيلة لنا في الاحتراز منهم فنحن نداريهم وليجعل الملك مع اللطف بهم هيبة الا ان البر لهم يكون أغلب واكثره في حق من يسلم اليه الروح وهو صاحب المطعم والمشرب واعلم ان المماليك وان كانوا اهل ذكاء وفطنة يستتر منك عنهم شيء فربما احتالوا عليك وان كانوا اهل غباوة لم تبلغ غرضاً في استخدامهم لانك تريد الشيء فلا يفهمون مرادك والصواب استخدام اهل الغفلة منهم في الدواخل وأهل الذكاء منهم خارج البيت فحينئذ تتم الاغراض .

﴿ فصل ﴾ ومن اعظم الغلط دخول المملوك المراهق (١) الى البيت خصوصاً ان كان حسن الصورة وفي البيت نسوة فان الشر لا يؤمن فان سلمن من ميل اليه لم يسلم هو من ميل وكذلك من باب المخاطرات ترك الولد البالغ بين الجواري ومعلوم ان قوة الشهوة وجهل الصبا ينسيان مقدار

---

(١) الذي قارب الاحتلام .

الحرمة والتحريم فهذه أصول ينبغي ان يداوى بداوئها ولا تمهل فانها تجر اموراً صعبة ٠

﴿ الباب التاسع والعشرون في معاشرة الناس ومداراتهم ﴾

لما كانت طباع الناس تختلف كانت مداراتهم لذلك صعبة فأصلح ما استعمل العاقل العزلة عنهم مهما أمكن فانها راحة عظيمة فاذا اضطر الى مخالطتهم خالطهم بالتلطف وايفائهم الحقوق واهمال حقه عليهم والحلم عن جاهلهم والعفو عن ظالمهم وايثار متكبرهم بالمجلس ومن اعظم ما يملكهم به السماح والعطاء فانه يسترق به من لم يكن ينقاد وقد جاء في الحديث « مداراة الناس صدقة » ٠

﴿ فصل ﴾ واذا ابتلي العالم بمخالطة العوام فينبغي ان يلبس جنة (١) الحذر فان اغراضهم مختلفة يرضي احدهم مايسخط الآخر ويغضب من الصواب لأنه يراه خطأً ولا يقبل مع جهله اقوال العلماء فليبعد العالم عنهم ماستطاع فان مخالطتهم تشينه وتنقص من مقداره في اعينهم فيهون علمه عندهم ولو رآه عاص يضحك او يأكل اوسمع انه قد تزوج لم يبق له عنده قدر فالحذر الحذر منهم فانهم قتلة الانبياء فاذا اضطر الى مجالستهم فليقلل الكلام معهم وليتكلم بما لا تسلق لهم به عليه ولا فيه احتمال لما لا يصلح لخطابهم وبعد هذا فالسلامة منهم طريفة (٢) ٠

---

(١) مايستتر به من سلاح ٠ (٢) غريبة نادرة ٠

❊ الباب الثلاثون في ذكر السيرة الكاملة ❊

علامة الكامل تربية القدرة له من الطفولة واعطاؤه الرأي التام والعقل الوافر من الصغر كما قال تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل) وتخلق له همة عالية وشرف نفس فتحمله على طلب المعالي وتمنعه ركوب الدنايا فتنزله في نكبه (١) يحب ان يكون رئيس الصبيان فاذا ترعرع (٢) كان الادب شعاره من غير تعلم والحياء اباسه من غير ترهيب وأقل الرياضة فيه يؤثر كما ينفع المسن الفولاذ ولا ينفع الحديد فاذا عقل واستدل على صانعه وعلم لماذا خلق ونظر باذا خوطب والى اين يصير وما المراد منه شمر عن ساق وساق فيطلعه العلم على حقائق الامور فيرى ان افضل الاشياء ما يقربه من خالقه ثم يرى ان اقرب ما يقرب به العلم والعمل فيجتهد في اكالهما على غاية ما يطيق منهما بدنه وينهض النية والعزيمة بحمل الباقي · وأنت ترى خلقاً يقتصرون على بعض فنون العلم فهذا مع النحو جميع عمره وهذا مع الحديث طول دهره وهو يرى ان كل العلوم مقصود غير انه لما علم ان العمر لا يسع الكل اخذ ما يحتاج اليه من الكل زاداً لمسيره ونهض للعمل بمقتضاه فتراه ينتهب العمر خوف ان يذهب وما نال المراد ولا يضيع لحظة في غير مهم وينافس نفسه في زمان المطعم والنوم لعلمه بقصر المدة كما قال الشاعر

فاقضوا مآربكم عجالاً انما … أعماركم سفر من الاسفار
وتراكضوا خيل السباق وبادروا … ان تسترد فانهن عواري (٣)

---

(١) لعل الصواب «فتراه في لعبه» · (٢) تحرك ونشأ · (٣) جمع عارية : الشيء المستعار ·

فهو أبداً يجتهد في عمارة وقته و يقهر هواه لاصلاح امره و يقطع من العلم مهمه فقلبه مشغول عن اللهو بتصحيح قصده وجوارحه مقبلة بالجد على طاعة ربه وقد اقتنع بما رزقه الله عن منن خلقه وعف عن اموالهم حفظاً لعرضه فسادهم لغناه عنهم وأزال فسادهم بوعظه فان عاملهم فبالانصاف لم يأخذ عليهم بفضله وان استشاروه اجتهد في نصحهم على انه مشغول عن الكل بنفسه متأهب للنقلة همه جمع رحله يؤدي الى كل لحظة فرضها من الحراسة بقوى لربه و يستظهر بكثرة الزاد لعلمه طول شوطه ثم يجتهد في تهذيب العلم في حياته ليحيى به اثره بعد موته وقد زهد في الدنيا ولا يتناول الا قوت وقته فان فسح لنفسه في مباح فمراده تقوية جمله على حمله ثم لم يزل به عرفان خالقه حتى دعاه الى حبه فانصب الصب وانخرط في سلكه فهو بين الخلق بجسمه و عند الخالق بقلبه اولئك ريحان الله في ارضه نفوس انفاس المريدين باستنشاق ريح احدهم و بلفظه و يفوح نشر صدقهم بعد دفن راجلهم في لحده قد ألبست قبورهم هيبة تخبر عن كل بقدره واذا ذكرت اعمالهم يقوى بها المريد في طريق صبره والمتقون في فلك القيامة نجوم وهم كشمسه او كبدره رزقنا الله وفاقهم ووهب لنا لحاقهم وألبسنا اخلاقهم بسعة فضله انه سميع قريب من عبده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ·

﴿ فهرس الطب الروحاني ﴾

الصفحة

الصفحة

رسائل تاريخية

من تأليف الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن علي

ابن طولون

١

الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون

٥٦ صفحة ، قرشان مصريان

— ٢ —

الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية

٢٨ صفحة ، قرش مصري

— ٣ —

المعزة فيما قيل في المزة

٢٨ صفحة ، قرش مصري

— ٤ —

اللمعات البرقية في النكت التاريخية

٧٦ صفحة ، ٣ قروش مصرية



للحافظ المؤرخ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله

ابن عساكر الدمشقي

المتوفى عام ٥٧١

٤٦٠ صفحة ، ٢٠ قرشاً مصرياً من الورق الابيض و ١٦ من الاسمر



للمؤرخ الاديب محمد أمين بن فضل الله المحبي

المتوفي عام ١١١١

١٧٢ صفحة ، ٨ قروش مصرية

قرشاً مصرياً	
٢٠	تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري لابن عساكر · فيه شيء من تاريخ علم التوحيد وتراجم نحو ٨٠ من كبار الاشاعرة وله مقدمة في نشأة الفرق وتعليقات ممتعة للاستاذ الكوثري وفي آخره ٣ فهارس · وفي أوله أوسع ترجمة للمصنف (الورق الاسمر ١٦)·
٣	دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي · رد فيه على المجسمة الحنابلة وتكلم على آيات الصفات وأحاديثها · ورق اسمر
٢	صفعات البرهان على صفحات العدوان للاستاذ الكوثري · وهي نقض ما كتبته مجلة الزهراء في ج٦ م ٥ ·
هدية	كلمة في السلفية الحاضرة للاستاذ الدجوي وفيها رأيه في ابن تيمية وابن القيم ومجتهدي العصر·
٢٥	ذيول طبقات الحفاظ للحسيني وابن فهد والسيوطي · ومعها توشيح الذيول بفوائد الانظار والنقول للاستاذ الكوثري والتنبيه والايقاظ لما في ذيول طبقات الحفاظ للاستاذ الطهطاوي ومعها ٤ فهارس (الورق الاسمر ٢٠)
٣	شروط الائمة الخمسة البخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسوي للحازمي ·
٧	ابراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون للسيد أحمد الصديق ·
٤	انتقاد المغني للقدسي ·
١	بيان زغل العلم والطلب للذهبي · يذكر فيه رأيه في العلوم الاسلامية · ومعه النصيحة الذهبية لابن تيمية · يحذره فيها عواقب ماهو عليه من الشذوذ والوقيعة في الائمة ·
٣	مجموعة الدرة المضية في الرد على ابن تيمية · ونقد الاجتماع والافتراق في مسائل الايمان والطلاق والنظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلق · والاعتبار ببقاء الجنة والنار · كلها لتقي الدين السبكي ·
٢	اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لابن طولون ·

مطبوعات
مكتبة القدسي والبدير

دمشق صندوق البريد ٢٠٧

قرشاً مصرياً	
١	المتوكلي فيما ورد في القرآن بالحبشية والهندية والفارسية والتركية والزنجية والنبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية للسيوطي . ومعه رسالة في أصول الكلمات في اللغة له ايضاً .
١٧	الحث على التجارة والصناعة والعمل والانكار على من يدعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك لمحرر المذهب الحنبلي أبي بكر الخلال الحنبلي .
٢	الطب الروحاني (في الاخلاق) للحافظ ابن الجوزي .
٧	متناول سبيل الله في مصارف الزكاة .
٢	اتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل لابن علان الصديقي . يذكر فيه ما جاء من الافعال مبنياً للمجهول . ومعه رسالة في الكلام على الالفاظ العشرة «فضلاً وايضاً و . . .» للصناديقي .
٢	الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون .
١	الشمعة المضية في اخبار القلعة الدمشقية لابن طولون .
١	المعزة فيما قيل في المزة لابن طولون .
٣	اللمعات البرقية في النكت التاريخية لابن طولون .
٤	أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي .
٤	المبهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة لابن جني
٧	اخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي .
٥	التطفيل للخطيب البغدادي
٨	جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي . فيما ورد مثنى في اللغة كا والعمرين و . . .
٢	اتقان الصنع في شرح رسالة الوضع للسيد سعيد الحسني الجزائ
هدية	تبييض الطرس بما ورد في السمر ليالي العرس لابن طولون .

